النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

افريقيا الجديدة

تهتم اوساط القراء ، ومن ثم اوساط الناشرين ، بكل الدراسات والكتب والروايات التي تمت بصلة الى « افريقيا » : هذا العالم الجديد الذي يتفتح للنور ، والذي تفقد فيه فرنسا سيطرتها ونفوذها عليه يوما بعد يوم .

وقد صدر في الفترة الاخيرة بباريس كتابان هامان يتحدثان عن افريقيا ، احدهما بقلم مؤلف فرنسي ، هو شارل هنري فافرود الذي سبق له ان نشر عام ١٩٥٨ كتابا بعنوان « وزن افريقيا » وبشر فيه بميلاد قارة جديدة برمتها ، وبدخول العالم الافريقي الى المسرح العالمي . وبزوغ هذا الفجر اصبح اليوم قضية واضحة ، وليس ثمة ماهو اهم من المصير الافريقي في صراع التوازن القائم بين الشرق والغرب ، كما يبين مؤلف هذا الكتاب الذي يتحدث عن ثلاثة انواع من الافريقيات : افريقيا التي لاتزال مستعمرة ، وافريقيا التي تتخذ سبيل الاصلاح التطوري ، وافريقيا الثورية ، وكلها تتجابه معا ، فيما هي تنشد وحدتها في الاساس .

اما كتاب فافرود الجديد ، فيحمل عنوان « افريقيا وحدها » ويتضمن مجموعة هامة من الملاحظات والافكار .

ويهتم المؤلف هنا بوصف مختلف النماذج الانسانية التي يعول عليها في الحياة الافريقية اليوم : القاضي ، والقائد ، والمدني ، والمناضل ، وصاحب الراتب ، والتاجر ، والمصمم الخ .. وكلها تمكن القاريء في المضي بعيدا في فهم الموضوع الافريقي ، وتجعل من الكاتب صاحب فلسفة افريقية واضحة .

ويعتقد فافرود ان اختيار علم ونشيد وطنيين لايكفيان اليوم في افريقيا لتقرير استقلال بلد . ان افريقيا تبحث عن نفسها في ظل ماضيها : التقليدي والاستعماري ، ولن تصبح مستقلة حقا الا حين تجد نفسها ، وتوكد حرية عملها وحرية رايها خصوصا بالنسبة للدول الكبرى ، وتاخذ قدرها بيديها . و « افريقيا وحدها » ليست افريقيا المعزولة ، بل افريقيا سيدة نفسها التي تتحدث بضمير المتكلم .

اما الكتاب الثاني فيتخذ اسلوبا روائيا جذابا وقد صدر حديثا في باريس عن دار « جوليار » ووصفه المستشرق فنسان مونتاي بانه « اثر رصين ، وكتاب حزين » ومؤلفه افريقي معروف اسمه الشيخ حميدو خان ، وعنوان الكتاب « المغامرة الملتبسة » . ويقول الناقد بيار ستيب « ان كل مايعبر عنه المؤلف تعبيرا عميقا رائعا يغرق القاريء في جو « زنجي » ويحمله في موجة من الافكار والتساؤلات والصور التي تثيره وتحمسه وتحزنه في وقت واحد . »

وموضوع « المغامرة الملتبسة » هو موضوع التجابه بين افريقيا التقليدية ولا سيما المسلمة ، والعالم الغربي، والبطل « سامبا ديالو » صبي ينتمي الى اسرة حاكمة ، عهد به ذووه وهو بعد في السادسة من عمره ، الى متقشف مسلم جعل منه تلميذه المفضل . ولكن عمته الملكة مالبثت ان القنعت اهله بارساله الى المدرسة العصرية ، لا لانها تحب « المدرسة الاجنبية » ولكن لانها تفكر باننا يجب ان« نموت في اولادنا » وان نرسلهم ليتعلموا لدى الفرنسيين « كيف يمكن للبعض ان ينتصروا من غير ان يكونوا على حق » .

وفي القرية ، ثم في باريس ، يعاني الفتى الافريقي توترا حادا بين القيم الافريقية الاسيوية والمدنية الغربية الميكانيكية ، اللا انسانية . ولا ريب في ان وصف الذعر والذهول والخوف الذي يصيب الفتى حين يهبط فجاة من قريته الى مدينة اوروبية كبيرة ، تشكل صفحة من اروع صفحات الادب الافريقي التي تعبر بالفرنسية عن المخاوف والوساوس المهووسة التي يحسها الافريقيون تجاه الحضارة الغربية .

وهذه الصدمة يعيشها سامبا ديالو معرفة عميقة حين ينهي دراسته ويتثقف ثقافة عالية ، فيعيش وضعا روحيا متمزقا الى ابعد حدود التمزق ويفشل في تحقيق « الانصهار والتركيب » ، معبرا عن ذلك بقوله :

« في الماضي كان العالم في نظري كمنزل ابي : كان كل شيء يحملني الى اعمق ما في ذاته من جوهر ، كما لو ان شيئا لايمكن ان يكون الا بي. ان العالم لم يكن صامتا او محايدا . بل كان يحيا ويهاجم ويذيب ماحوله. ولم يكن لاي عالم معرفة بشيء كما كانت معرفتي بالكائن . اما هنا ، فان العالم الان صامت ، وانا لااصدي فيه . انني كمزمار منفجر ، كالة موسيقية ميتة . واني احس ان ليس شيء بعد يمسني .»

وعلى اثر هذا التمزق والالتباس يعود سامبا ديالو الى بلده ، فيموت ميتة تشبه الانتحار شبها غريبا .

« المجلة الماركسية الجديدة »

انشئت مؤخرا في باريس مجلة جديدة بعنوان « المجلة الماركسية الجديدة » La nouvelle Revue Marxiste تصدر كل ثلاثة اشهر ويشترك في ادارتها لوفيفر وروزنفيلد وبوبيران ونافيل وفافر بليسترو وشيرامي وسواهم . وغاية هذه المجلة دراسة الاحداث الحالية على ضوء ماركسية مجددة وغير عقائدية . وهي في الحقيقة محاولة مبتكرة في الوضع الحالي ...

وقد صدر العدد الاول من المجلة ، وخصص كثير من صفحاته لموضوع « الجيش والسلطة » وكان صدوره بعد محاولة الانقلاب الجزائرية التي علق عليها او . روزنفيلد ، وقدم بيار نافيل تحليلا لدور الجيش في الجمهورية الخامسة ، وهو دور اوسع جدا مما يظن غالبا في الحياة الاقتصادية والقطاعات الاجتماعية . ويتبين من هذا ان حرب الجزائر بعد حرب الفيتنام ، ليست هي طبعا العامل الوحيد او حتى العامل المسيطر في نفوذ الجيش المتنامي على البلاد ، وهذا هو في الحق السبب الذي من اجله يجهد ديغول في « تقنية » المطامح العسكرية نحو اعادة تنظيم الجيش في التروبول . ويصدر ج.م فانسان عن افكار مماثلة حين يتحدث عن النزعة المناهضة للعسكرية ، ويصف كم تستطيع مثل هذه النزعة حين تتخذ اسلوبا جديدا ان تتخلص من الازمات التي لا مفر منها في المجتمع العسكري الفرنسي الجديد . ويرسم فافر – بليبيتترو برنامجا لجعل الحياة العسكرية ديموقراطية ، وهو برنامج مستوحى جزئيا من نظريات جوريس . وتدل جميع هذه الدراسات ان جعل الحياة الاجتماعية عسكرية يطرح قضايا ذات اهمية كبرى لاترد قط ، الى نزاعات شخصية ولا الى بسيكولوجية الضباط والجنرالية ، وانما تجعل « السلطة المدنية » المسؤول الاول عنها .

ويجد القاريء في هذا العدد الاول نفسه دراسة طويلة بقلم هنري لوفيفر مخصصة لكتاب « نقد العقلى الديالكتي » لسارتر ، ويحمل هذا المقال عنوان « نقد النقد اللانقدي » ويرى لوفيفر ان سارتر لم يخرج عن نطاق فلسفته الاولى ، بالرغم من انه يقدمها اليوم بطريقة مختلفة .

الولايات المتحدة

« عاصفة على السكر »

اصدرت دار « بالانتين » للنشر ترجمة لكتاب « عاصفة على السكر » الذي كتبه سارتر بعد زيارته لكوبا . ولكن الدار جعلت عنوان الكتاب

النشاط الثقافي في الغرب

« سارتر عن كوبا » اي حديث سارتر عن كوبا .

وقد علقت جريدة « نيويورك تايمس » اخيرا على هذا الكتاب الذي صدر بشكل « كتاب الجيب » فاعترف كاتب المقال بان لسارتر « منهجا ديالكتيا صلبا » ولكنه اخذ عليه افتقاره الى الوضوح . وكان ماخذه الرئيسي ما يلي : « ان عهد كاسترو لم يتبن سياسة جذرية اكثر فاكثر ليرد على ضغط اعدائه « الولايات المتحدة او سواها » كما يرى سارتر، بل هو على العكس يستغل هذا الضغط ليبرر .. جذرية تاخذ سبيلها» ومع ذلك ، فهناك عدة اميركيين يشاطرون سارتر وجهة نظره عن كوبا. ومنهم الكاتب الاجتماعي ك. رايت ميلز ، ووارين ميلر اللذان اصدرا كتبا في صالح كاسترو .

مخلفات همنغواي

اكثر من مئة الف صفحة مضروبة على الالة الكاتبة وجدت في اوراق ارنست همنجواي . وقد سبق لارملته ان اتلفت ـ بناء لرغبته هو بالذات ـ كل ماهو شخصي ، ولكن من المنتظر ان تطبع قريبا ثلاثة كتب جديدة له : الاول يضم ذكريات عن الحياة في باريس بعد الحرب الاخيرة والثاني بعنوان « الصيف الخطر » وهو دراسة عن فن مصارعة الثيران، وقد نشرت منها فصول في مجلة « لايف » من قبل ، والثالث ، وهو اهم ماخلفه همنجواي ، رواية طويلة وصفت بانها « كتاب كبير عن الارض والبحر والهواء » .

إسبانيا

« المنفى الداخلي

هذه الرواية كتبها ميغال دو سالابير خارج اسبانيا ، اي بمنجى من الرقابة الفرنكية ، ولذلك كانت ذات نكهة خاصة ، هي نكهة الصراحة والصدق ، وهي من هذه الناحية تشبه رواية « تانغي » تاليف ميشال ديل كاستيلو ، لاسيما وانها تعالج الموضوع نفسه : قصة حداثة من عهدنا هذا .

فان رامون ، البطل ، عرف البشر بواسطة القنابل ، حين كان في السادسة من عمره ، القنابل التي كانت تسقط كالمطر على مدريد ، وهو يتحدث عن مأساة اطفال الحرب المدنية ، اولاد المهزومين : الانتظار على ابواب مخازن الغذاء ، والجوع ، والتنازع على الخبز ، والهجرات ، ثم بعد عودة السلام ، الانتظار الحديد امام باب سجن لرؤية اب تغيرت ملامحه . ويحلل المؤلف انهيار اسرة من الاسر : بسقوط الام في حالة هوس بعد قضاء ليال طويلة في التطريز ، وبعودة الاب من اسر بضع سنوات ، وعدم وجود عمل يقتات منه ، وانتحاره في النهاية ، وامتهان الاخ الاكبر مهنة تهريب السكاير والاغذية ، وابنة العم الصغيرة التي يقتنصها في يوم « النصر » بالذات جندي من جنود المنتصرين ، فيتركها خطيبها وتضطر الى دخول سلك الراهبات ...

وبعد ان يمتهن رامون جميع المهن ، يشعر بانه « جثة في عطلة » حتى تقع الثورة الجامعية عام ١٩٥٦ ، فينتقل الى العمل السياسي ويجد الخلاص .

وقد عالج المؤلف الشاب موضوعه بروح فكاهية يمكن ان تعتبر صدى لياس عميق .

« القطاف المقطوع »

تعتبر مرسيدس ساليساس في طليعة الروائيين المعاصرين الاسبان . وقد صدرت لها عدة روايات اشهرها « الشمس لاتسامح » . وكانت اخر رواية لها بعنوان « القطاف الذي اوقف » .

وتحكي الرواية الاخيرة قصة كاهن قرية صغيرة يدعى دياغو ريبالتا ، عين بعد موت كاهن القرية السابق الذي كان يدعى دون اليجاندرو . والكاهن الجديد رجل بسيط ، محروم من المواهب الخطابية ، وهو يصطدم دائما بذكرى الكاهن السابق الذي خلف تاثيرا شديدا دائما على رواد الكنيسة . ولكن الكاهن الجديد مالبث ان اكتشف رويدا رويدا حقيقة شخصية سلفه ، وهي شخصية محيرة مطبوعة بالذنوب والاثام، ولكن هذا لم يحل دون ان يؤثر ذلك التاثير الطيب . فذلك الرجل المتهم كان في الواقع راهبا نموذجيا .

وتدور هذه المغامرة الروحية بحثا عن غائب ، وتلك الدراسة النفسية الدقيقة التي تشبه تحقيقا بوليسيا ، في اطار « الرواية ذات البطل الجماعي » وهو الشكل الروائي الذي يستاثر اليوم باهتمام المؤلفين الاسبان . والواقع ان القرية هي مدار هذا الصراع والبطل الحقيقي لقصة تحركها اطياف تعتبر نماذج بشرية متميزة ، وهي الاطياف المالوفة في الملهاة الاسبانية : المختار والمعلم ، والمالك والطبيب ، والخطيبان المتنازعان ، ثم المتصالحان .. قطاع دقيق من الانسانية بكل اهتماماته وصراعاته وعواطفه الغرامية . والاحداث تتعقد وتتشابك ثم تنحل في سهولة ، وميزة هذه الرواية المحبوكة حبكا قويا والتي تصور صورة حقيقية لقرية اسبانية هي انها تمنح قارئها متعة كبيرة ، من الناحية البشرية ، والناحية الفنية .

« عبر الشبابيك »

نالت رواية « عبر الشبابيك » جائزة نادال ، وهي اكبر جائزة ادبية إسبانية . والمؤلفة امرأة شابة تدعى كارمن مارتان غيث ، وهي تلقي بروايتها هذه ضوءا جديدا على وضع الفتاة في المجتمع الاسباني الحالي .

وبطل الرواية ، بابلو ، هو استاذ شاب وصل حديثا الى مدينة صغيرة من مدن الريف ليعطي دروسا في ليسيه للبنات . وتنعش وحدته ثلاثة اطياف نسائية : روزا ، المدربة في الكازينو ، وهي تمثل بالنسبة اليه رفقة صريحة تأخذ فيها الثقة مكانا اكبر مما تأخذ الشهوة . اما ناتاليا تلميذته ، فيشعر بابلو تجاهها باهتمام فكري ملون بالحنان ، واما الفيرا وهي فتاة خيالية ، لاتخلو من هستيريا ، فتوحي له رغبة عنيفة . ولكن الرغبة ، للقانون الاخلاقي السائد في المدينة الصغيرة ، لاتحتمل الا مخرجا واحدا : ثلاثة اعوام من الخطبة وزواج حافل . ويفضل بابلو ان يطلب مأذونية ، وان يبتعد من غير نية للعودة .

وهذه الحبكة السريعة ، والعواطف المترددة ، قد وضعتها المؤلفة في خدمة وصف شامل لجو المدينة الريفي ، بكاتدرائيتها وكازينوها ، وأزقتها الضيقة التي ترودها اطياف سوداء لرجال الدين والنساء في ثياب الحداد كل ذلك ، وسط اشاعاتها واقاويلها وذبابها ، وضجرها .

ان فتيات اليوم يختنقن في هذا الاطار الذي يعود الى الماضي . فان ناتاليا ترغب في السفر الى مدريد لتباشر دراستها الجامعية ، ولكنها تصطدم بالفيتو العائلي ، وتصمم اختها الكبيرة جوليا ، بعد معارك عنيفة ، على ان تقطع صلتها بعائلتها لتلحق بخطيب لها في مدريد لايملك المال ، ولكنها تعزم على ان تكسب حياتها الى جانبه . غير ان اختا ثالثة تدعى مرسيدس تستسلم لوضعها كمانس وتكرس نفسها لاعمال الاحسان. اما صديقتهن الفيرا ، فتخفق في مقاومة مواضعات المجتمع وتتزوج الخطيب الذي لاتحبه .

وحول هؤلاء البطلات اللواتي صورت ثوراتهن في دقة وتحليل عميقين، رسمت المؤلفة غيث بعض الاشخاص الثانويين ، ولكنها بالغت في اكثار عددهم وسرد اخبارهم واقاويلهم . ولو اكتفت بالجوهري لاعطتنا افضل رواية تمثل « جو » الجيل الاسباني الجديد .